المحاضرة الثانية : نظرية المحاكاة ملاحظة هذه المحاضرات أعدها الدكتور صلاح ياسين

تدل المحاكاة في اللغة على التقليد والاحتذاء والسير على المنوال، أما اصطلاحا فهي عبارة عن نظرية أدبية أصدرها كل من الفيلسوفين اليونانيين أفلاطون Platon (427-347 ق.م) وأرسطو Aristote (384- 322 ق.م) في القرن الرابع قبل الميلاد، وفي الآتي سنبين وجهة نظر كل هذين الفيلسوفين للأدب.

1) المحاكاة عند أفلاطون:

يميز أفلاطون في نظريته بين ثلاثة عوالم وهي عالم المثل والعالم الطبيعي وعالم الفن؛

أما عالم المثل فهو عالم ما ورائي/ ميتافيزيقي/ مجرد/ غير محسوس، وفي هذا العالم توجد كل الأشياء على حقيقتها الأصلية ومن مواصفاته أنه: أزلي/ مطلق/ مثالي/ حقيقي/ أصلي/ ثابت، ولربما يعتقد أفلاطون أن الإنسان كان يعيش في هذا العالم لكنه نزل منه ونَسِيَهُ.

أما العالم الطبيعي فهو عالم الموجودات التي نعيش فيه بما يحويه من أشجار وأنهار وجبال وحيوانات وغيرها؛ وهذا العالم في نظر أفلاطون على خلاف العالم المثالي فهو عالم طبيعي (فيزيقي)/ محسوس/ زائل/ مزيف/ مشوه/ متغير/ متنوع.

ويرى أفلاطون أن هذا العالم الطبيعي هو محاكاة لعالم المثل غير أن هذه المحاكاة ناقصة لأنها تحاول أن تقترب من الكمال الموجود في عالم المثل غير أن ذلك مستحيل وما دام الأمر كذلك فإن الموجودات تتنوع وتختلف؛ فالأشجار الموجودة في عالمنا هي في الأصل شجرة واحدة في العالم المثالي لكن الأشجار تتعدد لأن كل واحدة تحاول أن تقترب أكثر من الشجرة المثالية.

في المرتبة الثالثة يأتي عالم الفن؛ وهو الذي يبدعه الأديب والفنان كالرسام والنحات والموسيقار والشاعر، وإذا كان عالم الموجودات يحاكي عالم المثل فإن الفنان يحاكي عالم الموجودات فتأتي محاكاته بعيدة عن الحقيقة وأكثر تشويها لها لأنها تبتعد عنها بمرتبتين، ولذلك لا يحبذ أفلاطون هذا العالم لأن الصورة فيه مزيفة خادعة، كما ثار أفلاطون على الشعر والشعراء لأنهم يزيفون الواقع بخيالاتهم وأحلامهم، ويستندون إلى العاطفة بدل العقل ممتثلين في ذلك بعبارة "أعذب الشعر أكذبه"؛ ولذلك اتخذ أفلاطون قرارا يقتضي بطرد الشعراء من جمهوريته الفاضلة التي يحكمها نظام صارم منشؤه العقل وامتثال الحكمة، وهذه المدينة سيسودها العدل والأمن والاستقرار إذا ما استندت إلى المنطق والأخلاق.

غير أن أفلاطون قبل بعض أنواع الشعر كالملحمي والغنائي والتعليمي وهي أنواع تتغنى بالبطولات وترفع حماسة الجنود وتساعد في تربية النشء. ويمكننا تمثل هذه العوالم الثلاثة في الآتي:

عالم المثل هو عالم ماوراء الواقع والطبيعة ويحتوي على الحقيقة المطلقة الخالدة وهو غير واقعي بل مثالي، وبالتالي فالشجرة والحصان والحمامة التي مثلنا بصورها والموجودة في عالمنا الطبيعي الواقعي ليست حقيقة بل الشجرة الحقيقية والحمامة والحصان توجد في العالم المثالي، ولهذا لا يمكننا تمثيلها في عالم المثل لأننا لا نعرف شكلها الأصلي المثالي.

عالم الموجودات

ويدخل ضمن عالم الفن إلى جانب [illegible] جميع الفنون الجميلة كالموسيقى والنحت والأدب؛ يقول امرؤ القيس يصف فَرَسًا:

نعامة * وإرخاء سرحان وتقريب تتفل** **له أيطلا ظبي وساقا**

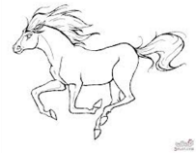

ما نستنتجه هو أن رأي أفلاطون في الأدب كان أخلاقيا قوامه العقل والمنطق، ولم يحفل/ يهتم بالمعيار الفني لأنه "فصل بين المتعة والمنفعة واهتم بالمنفعة في حد ذاتها "كما رفض أفلاطون فكرة "الفن للفن" ونادى بالفن الأخلاقي الملتزم شكلا ومحتوى[1].

2) المحاكاة عند أرسطو:

على الرغم من اندراج أرسطو ضمن نظرية المحاكاة إلا أن هناك اختلافات جوهرية بينه وبين أستاذه أفلاطون؛ فقد بحث أرسطو مفهوم المحاكاة في كتابه الشهير "فن الشعر" وهذه أبرز آراء أرسطو للأدب:

أ) إذا كان أفلاطون قد عمَّمَ المحاكاة على جميع الموجودات فإن أرسطو حصرها على الفنون الجميلة والنافعة كالموسيقى والنحت والرسم والشعر.

ب) لا تقتصر المحاكاة على مظاهر الطبيعة ومدركات الحواس وإنما تندرج تحتها أيضا الانطباعات الذهنية وأفعال الناس وعواطفهم كالخير والعدل والحب والشر وغيرها من المجردات.

ج) يرى أرسطو –على عكس أفلاطون- أن الشاعر لا يحاكي الشيء كما هو بل كأجمل ما يكون لأن الطبيعة ناقصة والفن يكمل ما في الطبيعة من نقص؛ فالرسام حين يرسم منظرا طبيعيا عليه أن يحاكيه كأجمل ما تكون الطبيعة، وإذا كانت هناك شجرة مكسورة أو حيوانا معطوبا فعليه أن يتمم هذا النقص ليُظْهِرَهُ في أجمل حُلَّةٍ، كما يرى أرسطو أن الشاعر لا بد أن **لا** يتقيد في كتابته بعناصر العالم الخارجي كما هي وإنما عليه أن يلونه قصائده بعواطفه ومشاعره وخيالاته، كما عليه أيضا أن يكتب **"ما يمكن أن يكون"** وقد يكون الشيء مستحيل الوقوع لكنه مقنع ومع ذلك فهو أفضل من الشيء الممكن الذي لا يقنع؛ **"فالمستحيل المقنع خير من الممكن الذي لا يقنع".**

د) يرى أرسطو أن مصدر الشعر هو غريزة التعلم وليس محاكاة عالم المثل، والتعلم هو وسيلة لاكتساب المعارف كما أنه مصدر للمتعة ، فالشعر عند أرسطو صنعة تقوم على الدُّرْبَةِ والممارسة.

ه) **وظيفة الشعر هي التطهير؛** والمقصود بالتطهير هو خروج جميع المكبوتات والانفعالات السلبية من نفسية المتلقي، وقد حصر أرسطو وظيفة التطهير على المسرحيات التراجيدية (المأساة) وبدرجة أقل الكوميدية (الملهاة)، ويحدث التطهير بعدة طرق منها:

- مشاهدتنا للمأساة تجعلنا نشعر بالشفة على البطل نتيجة لما حصل له من ألم وتعاسة فنخاف من أن يحدث لنا ما حدث للبطل.
- إذا كان المتفرج يعاني من بعض العقد النفسية كعقدة أوديب أو إلكترا فإنه مشاهدته لتجسد العقدة على خشبة المسرح تجعله يتخلص من عقدته، ويتحقق هذا الأمر وفقا لقاعدة **"وداوني بالتي كانت هي الداء"** فالمكبوتات الذاتية تسبب الألم والتعاسة إذا بقيت رهينة اللاشعور وإذا ما وَجِد المريض من يجسد آلامه

---

[1]شكري عزي الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص (26. 28)

على رُكْحِ المسرح فإن ذلك يعتبر متنفسا له، وتنتقل بذلك تعاسته وشقاؤه من حدود الذاتية إلى آفاق الموضوعية وبذلك يتحقق نوع من التوازن بين الهو والأنا الأعلى، وبين الأنا والآخر، فيشعر بالراحة.

- بمشاهدة المأساة يتماهى ويندمج المتفرج بالبطل المأساوي، فيسعد بسعادته ويشقى بشقائه، وإذا ما انتهت المأساة نهاية مروعة فإن البطل يستفيق ويدرك أن ما حصل لم يكن حقيقيا، فتعود إليه القيم من جديد بعدما "تساوت عنده الأنوار والظُّلَمُ "ليشعر بالسعادة ويرضى بالواقع.